الرِّسَـــالة ١١١

مَـــنْ هُـــوَ كفـــؤٌ؟!

(Arabic - Who is sufficient?)

أحبّائِى.. حَديثَنَا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: مَـــنْ هُـــو كفـــؤٌ ؟!

ومِنْ رسَالةِ بُولس الرّسُول الثانية إلى مُؤمِنِى كورُنثوس الأصْحَاح الثانى نقرَأ العَدَدَيْن الخَامِسَ عَشَرَ والسّادَسَ عَشَرَ ونقرَأ العَدَدَ الخَامِسَ مِنَ الأصْحَاح الثالِثِ.

"لأننَا رَائِحَة المَسيح الذكيّة للهِ فِى الذين يَخلصُونَ وفِى الذينَ يَهلِكونَ لهؤلاء رَائِحَة مَوْتٍ لِمَوتٍ ولأولئك رَائِحَة حَيَاةٍ لحيَاةٍ. ومَنْ هُوَ كفؤٌ لهذِهِ الأمُور؟. ليْسَ أننَا كفاة مِنْ أنفسِنَا أنْ نفتكِرَ شَيْئاً كأنّهُ مِنْ أنفسِنَا بلْ كفَايتنَا مِنَ اللهِ".[١]

يوم علقوا يسوع المسيح على خشبة الصليب جاءوا أيضا باثنين آخرين ليُصلبا معه. واحدٌ مِنَ المذنبيْن المعلقيْن أخذ يجدفُ عليه. أما المُذنِبُ الثانى فقدْ فتح قلبه لنور الإيمان. وعرفَ أنّ يسوعَ المصلوب هو الربّ. وأنه سيأتى ثانية ليملك. فطلب مِنْ يسوع أنْ يذكرّه فى مجيئه. واستجابَ الربّ لطلبته ووعدَه قائلا: "الحقّ أقول لك إنّك اليومَ تكونُ معى فى الفردوس".. كلاهما مذنبان كلاهما عاشا حياة تستوجبُ عقابَ الموت. وإنْ كان المُذنِبُ الثانى قد نال شيئا مِنَ الربّ لم ينله الأول فهذا لا يعنى أنّ الثانى كان فى ذاته كفئاً للعَطيّة.

ولكن الحقيقة أنّ إحساسَ المُذنِبُ الثانِى بأنه غيرُ كفء واعترافه بأنّه مستحق للعقاب بقوله لزميله: "أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا" وضعه فى مركز الأحقية والكفاءة لما ناله مِنَ الربّ. يقول بولس الرسول "ليس أننا كفاة مِنْ أنفسنا أنْ نفتكرَ شيئا كأنه مِنْ أنفسنا بل كفايتنا مِنَ الله". فلو كان المذنب الأول الذى بدأ يجدف على يسوع حذا حذو الثانى وفتحَ قلبه للإيمان حتى فى اللحظات الأخيرة لاختلفت قصته تماماً. ولكنّه تفوّه بهذه الكلمات: "إنْ كنتَ أنت المسيح فخلص نفسكَ وإيانا". فحرمَ نفسه مِنَ الخلاص الذى ناله الثانى بكلماته الحكيمة.[٢]

إنّ كلمات الحماقة والتجديف أدانت الأول للأسباب الآتية:
أولاً: لمْ يعترفْ بأنه مذنبٌ مستحقٌ للموت.. بل طلبَ خلاصاً مِنْ عقاب الصليب الذى كان يستحقه كمذنب.
ثانياً: أبدى شكوكه فى كون يسوع المصلوب.. أنّهُ هو المَسيحُ المُخلِصُ.
ثالثاً: طلبَ مِنْ يسوع أنْ يقومَ بدور بُطوليّ!.. وهو النزول مِنْ على الصليب وأنْ يُعطى أمراً لهما بالنزول أيضا. للخلاص مِنَ العقوبة التى فرضَها عليْهما القانونُ كمُذنبيْن. مطالباً يسوع بذلك ليثبتَ أنّه هو المسيح!.

أمّا المذنب الثانى الذى فتح قلبه واستقبل نوراً إلهيا هداه.. فلقد اكتشفَ ثلاثَ حقائق تظهرُ فى صُوَر ثلاث:
أولاً: قال لرفيقه: أما نحن فبعدل.. لأننا ننال استحقاق ما فعلنا. فبهذا اعترفَ أنّه غير كفء فى ذاته بل هو مستحقّ لعقاب الصليب. لمْ يطلبْ إعفاءً مِنْ عقوبة يستحقها. ولكنّه طلب ما هو أسْمى. لقد طلب الرحمة.[٣]
ثانياً: قال لرفيقه: أولا تخاف الله!.. لقد أدرك أنّ عقابَ الصليب لهما ليس هو نهاية المطاف. فقصة الحياة لها بقية وهى أنّ هناك عقاباً أبدياً ينتظرهما. لذا حذرَه: أولا تخاف الله! فإن كان رفيقه لم يدرك ذلك أما هو فأدركه.
ثالثاً: خاطب يسوع قائلا: اذكرنى يارب.. متى جئتَ فى ملكوتك.. لقد اعترف أن يسوعَ المصلوب هو الربّ الذى سيأتى فى ملكوته.. لذلك طلب ما هو أسمى مِنَ الخلاص مِنْ عقوبة الصلب.. طلبَ ملكوت الله!.

إنّ الاعتراف بتجرُّدِنَا مِنْ أىِّ كفاءة شخصية هو الكفاءة الحقيقيّة لنوال الخلاص والتحرير مِنْ خطايانا. ولقد ضرب الرّبُّ يَسُوعُ مثلا عن إنسان كان له ابنان قال أصغرهما لأبيه يا أبى اعطنى القسمَ الذى يصيبنى مِنَ المال فقسم لهما أبوهما معيشته وبقى الابن الأكبر مع أبيه. وجمعَ الابن الأصغر ماله وسافر بعيداً وهناك بذر ماله

---

[١] رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٢: ١٥ – ١٦ & ٣: ٥ ، استمع إلى الإنجيل
[٢] إنجيل لوقا ٢٣: ٣٩
[٣] إنجيل لوقا ٢٣: ٤٠ – ٤٣

بعيش مُسرف ولمّا ابتدأ يحتاج اشتغل راعياً للخنازير.. وأخيرا رجعَ إلى نفسِه قائلاً: "أقومُ وأذهبُ إلى أبى وأقولُ له: أخطأتُ إلى السماء وقدامك ولستُ مستحقاً أنْ أدعى لك ابنا اجعلنى كأحد أجراك". فقامَ ورجعَ إلى أبيه.. فلما رآه أبوه من بعيد تحنّن عليه وركضَ ووقعَ على عنقه وقبله وأمرَ عبيدَه أنَ يقدموا العجلَ المُسمّنَ ويذبحُوه وابتدأوا يفرحُونَ.. ولكن حدثتْ مشكلة.. فلقد كان الابنُ الأكبر فىالحقل فلما جاءَ وقرُبَ مِنَ البيت سَمعَ صوتَ الآتِ طرَب ورقصاً.. ولمّا عرفَ الابنُ الأكبر أنها وليمة صنعها الأب لابنه الأصغر حين عاد غضِب ولمْ يُردْ أنْ يَدْخلَ!.[1]

خرج أبوه يطلبُ إليه فأجابَ وقال لأبيه: "ها أنا أخدمك سنين هذه عددها وقط لمْ أتجاوزْ وصيتك وجدياً لم تعطنى لأفرح مع أصدقائى ولكن لمّا جاء ابنك هذا الذى أكلَ معيشتك مع الزوانى ذبحتَ له العجل المسمّن". فقال له: "يا بنىّ أنتَ معى كلّ حين وكل ما لى هو لك ولكن كان ينبغى أنْ نفرحَ ونسرّ لأنّ أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد". قد غضبَ الابنُ الأكبر لأنّ أباه صنعَ وليمة لأخيه الأصغر الذى عاد إلى أبيه مستغفراً.

كان الابن الأكبر ينظرُ إلى نفسه أنه وحده الجديرٌ بالتكريم وأنه هو الكفؤ لينالَ كلّ التقدير مِنْ أبيه.. قد نتساءل مَنْ هو الكفؤ؟! أهو الأصغر الذى ضلّ الطريق ثم عاد مستغفراً؟!. أم هو الأكبر الذى بقى مع أبيه يخدمه ثم امتلأ قلبه غيرة وحقدا على أخيه الأصغر الذى صنع له أبوه وليمة فرحا بعودته؟. الحقيقة أنّ ليس فيهما مَنْ هو كفؤ فى ذاته.. ولكن الأب بحبّه وحنانه وقلبه الصفوح أكمل نقص كلّ من ولديْهِ وعالج عيوبهما.. قدْ تكونُ أخطاءُ الابن الأصغر واضحة جليّة لذلك مِنَ السهل علينا الحكم بعدم كفاءته.

ولكن بالتأمل فيما جاء بالمثل عنْ الابن الأكبر نجد أنه كان يجدرُ به أن يُظهرَ مشاعرَ البهجة والفرح وقد التأم شملُ الأسرة.. لا أنْ يغضبَ ويمتنعَ عن دخول البيت!.. كان واجبه أنْ يقدّرَ آلامَ أبيه وأشواقه لعودة ابنه الذى ضلّ ويشارك بروح المحبّة الأخويّة أسرته فرحتها.. وأخطأ إذ ظنّ أنه بالخدمة الأطول هو كفؤ بالعجل المسمّن!. لقد صحّح الأب الخطأ بخروجه اليه وقوله له: "يا بنىّ أنت معى فى كلّ حين وكلّ ما لى هو لك". وأخطأ الابن الأكبر أيضاً لأنه أراد العجلَ المسمّن ليفرحَ معَ أصدقائه وكفى! وأخطأ إذ ارتضى على نفسه تعييراً لأخيه بقوله: "ولكن لمّا جاء ابنك هذا الذى أكل معيشتك مع الزوانى ذبحتَ له العجلَ المسمن". ولكن الأبَ صحّح الخطأ بقوله له: "لأنّ أخاك هذا كان ميتا فعاش وكان ضالاً فوجد". كانَ الأبُ يعنِى أنّ: ابنى هذا هو أخوكَ أيْضاً.

إنّ الأسْرة لها روابط تربطها وإلا ما كانت أسْرة.. والأب الحكيم لا يسمحُ بخلل يلحقُ بما يربط الواحد بالآخر مِنْ أعضاء الأسْرة.. ليس أننا كفاة مِنْ أنفسنا أنْ نفتكر شيئا بل كفايتنا مِنَ الآب السماوى الذى يفرحُ بكلّ نفس راجعة إليه.. ليكمل نقصَها.. ويجمع شملَ الأسْرة تحت ظله وفى رعايته.. فيكمل الفرح وتتحقق السعادة.. إنّ الاصحاح الخامس عشر مِنْ إنجيل لوقا يشيرُ إلى هذا الفرح مكررا كلمة الفرح ومرادفاتها سبع مرات.

وأخيرا نطرح السؤال: ما المؤهلات التى تجعل المؤمن كفئاً ليكون مبشّراً بالأخبار السّارة؟ أهى بالمواهب والدراسات المتخصصة يصلح المؤمن لتلك المسئولية؟. نقرأ بسفر أعمال الرسل الأصحاح الثامن هذه الأقوال: "وحدث فى ذلك اليوم اضطهادٌ عظيم على الكنيسة فى أورشليم فتشتت الجميعُ فى نواحى اليهودية والسامرة ما عدا الرسل. فالذين تشتتوا جالوا مبشّرين بالكلمة".. وواضح أنّ الذين تشتتوا وجالوا مبشرين كانت مواهبُهم هى مواهبُ الروح القدس فجالوا مبشرين بالكلمة.. ويقول بولس الرسول لمؤمنى كورنثوس: "لأننا رائحة المسيح الذكية لله فى الذين يخلصون وفى الذين يهلكون. لهؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حياة لحياة. ومن هو كفؤ لهذه الأمور؟. ليس أننا كفاة من أنفسنا أن نفتكر شيئا كأنه مِنْ أنفسنا بل كفايتنا من الله".[2]

ليتك أخى تشترك معى فى تلك الصلاة: أبانا السماوى.. أعترف بضعفى وعدم كفايتى وحاجتى إلى عون مِنْ لدنك.. أسألك كى تهبنى حكمتك. وأنْ تؤيّدنى بقوتك. لأننى بدونك لا أستطيع أنْ أفعلَ شيئاً.. أرفعُ صلاتى فى اسم ربّى يسوع فادىّ ومخلصى وأشكركَ لأنك تستجيب لى يَا مَنْ وَعَدْتُ بقولِكَ: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخِى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تلكَ الرِّسَالةِ أوْ غيرهَا ستجدُ ذلِكَ فِى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

[1] إنجيل لوقا ١٥: ١١ – ٣٢
[2] سفر أعمال الرسل ٨: ١ – ٤